

وماذا بعد الحج؟!



رسالة من: أ. د. محمد بديع - المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسول الله ومن والاه، وبعد..

فلاح الأمة في الاستمرار على الطاعات:

فمن علامات الحج المبرور أن يستقيم المسلم بعد حجّه، فيلزم طاعة ربه، ويكونَ بعد الحج أحسن حالاً مما قبله؛ فإن ذلك من علامات قبول الطاعة. قال بعض السلف: "علامة برّ الحج أن يزداد بعده خيراً، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه"، وقال الحسن البصري: "الحج المبرور أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة".

يقول الإمام البنا: "ما أجلَّ عذمة الربوبية!، وما أعظمَ فضلَ الألوهية!، وما أجملَ أن يتفضلَ الله على عباده فيدعوهم إلى بيته العتيق؛ ليغفرَ ذنوبهم، ويطهرَ قلوبهم، ويضاعفَ أجورهم، ويجددَ أرواحهم، ويعنّهم من فيض فضله ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشراً". وهكذا يعود الحاج كيوم ولدته أمه، ليبدأ صفحةً جديدةً في حياته من النقاء والطهارة والصفاء، يحمل في نفسه طاقةً هائلةً، ليخطو خطوات النجاح في حياته مع ربه ونفسه والناس. وهذا هو العَوْد الحميد باستقامةٍ دائمةٍ ومستمرةٍ.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الأعمال أفضل؟" قال: "إيمان بالله وبرسوله"، قيل: "ثم ماذا؟"، قال: "ثم الجهاد في سبيل الله"، قيل: "ثم ماذا؟"، قال: "ثم حجٌ مبرورٌ" (رواه البخاري ومسلم). والحج المبرور هو الذي لا تعقبه معصية لله.

حاجة الأمة إلى التلبية الدائمة

التلبية هي هناف الروح؛ لا تُقال بالأقوال، بل تُترجم إلى أفعالٍ: **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ.. إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ.. نَدَاءُ تُطْلِقُهُ الْقُلُوبُ الْمُسْتَجِيَّةُ لِنَدَاءِ اللَّهِ لِيُسْتَمِرُّ مَعَهَا طَوَالَ الْعَامِ؛ تَعْلُنُ عَنْ وَلَاتِهَا وَصَدِقُ تَوْجِهِهَا، مُتَحَدِّيَّةُ الْمَتَاعِبِ وَالْمَشَاقِ، حَبَّاً لِلَّهِ وَشَوْفَّاً إِلَيْهِ، لَتَدْأُ طَرِيقَ الْإِصْلَاحِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَا لِلْفَسَادِ.. لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَا لِلْإِحْدَادِ.. لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَا لِلْإِبَاحَةِ.. لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَا لِلظُّلْمِ وَانْتِهَاكِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ.. لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَا لِلتُّخْرِيبِ وَالْإِرْهَابِ؛ فَالْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ وَالْمُلْكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا أُلْيَا قُوَّةٍ مَهْمَا بَلَغَتْ عَلَى الْأَرْضِ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ..**

إنها صيحة العزة التي هي اليوم مطلب الثورات العربية: **وَلَهُ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** (المنافقون: من الآية 8).. إنها صرخة المجد للأوطان وهي في طريق نهضتها: **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (آل عمران: من الآية 139)، إنها كلمة الأمل للعاملين المجتهدين: **وَكَانَ حَقَّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** (الروم: من الآية 47).

يقول الإمام البنا عن أثر هذه النداء في الحياة السعيدة: "ما أجمل أن يفتح قلب المؤمن على هذا النداء العلوي، ويلاقاه كما تتلقى الزهرة الناضرة قطرات الندى؛ فيحيا به ويسعد، هانقاً من أعماق قلبه: لبيك الله لبيك".

فإن حققت الأمة معنى التلبية، تكفل الله بنصرها، ودمّر عروش الباطل، كما نراها تتهاوىاليوم بأمر من الله، حينما وعت شعوب الأمة التلبية، وأقسمت على التصديّ للفساد والظلم، فقدّمت التضحيات من الشهداء والجرحات في مصر وتونس ولibia. وإن غداً لนาشره قريب في اليمن وسورياـ بإذن اللهـ التي تتحدى نظمها المستبدّة إجماع الأمة بكل مكوناتها على إزالتها.

وحدة الأمة هي أمل البشرية

يقول تعالى: **وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ..** (الحج).

فالحج ذلك المؤتمر الإسلامي الكبير، وتلك المظاهر الإيمانية الرائعة التي تشتراك فيها صنوف متعددة من الأجناس والفنانات والطبقات والقوميات على موعد واحد، وفي أرض واحدة، يرددون هنافاً واحداً، ويمارسون عملاً واحداً، ويتجهون إلى غاية واحدة؛ هي الإعلان عن العبودية والولاء لله وحده؛ تكلم الرسالة الممتدة في كل عام: أنتم قوة باتحادكم.. أنتم قوة بتآلفكم؛ فعلام تتفرقون؟! وقد أن لكم اليوم تحقيق فريضتكم الغالية: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَآلَّفُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحُتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَاعَ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَانْقَدَّمُ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ (103)** (آل عمران).

فاحذروا كيد أعداء ثوراتكم الذين يجحدون توجيه استعمال سلاح التشرذم والاختلاف والفرقة بينكم، والذين يتقنون نشر الضلالات التي توهن أمتنا، من تغيير للهوية، وتلاعب في الثقافة، وعيث بارادة الأمة، ونشر للاحتلال والإباحية، واحتلال للأوطان، ونهب للثروات والكنوز، وتخريب وتدمير للحياة والأماء؛ لأنكم إن استحبتم لهم ولم تتصدوا لهذه التحديات، أوشك الله أن يعاقبكم بالفتتت كما عاقب غيركم؛ لكم ترجون إلى النازر والصف الواحد. يقول تعالى: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْئًا وَيُدْنِقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرْ الْآيَاتِ لِعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» (الأعام: من الآية 65). في صحيح البخاري عن جابر قال: لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَعُوذُ بِوْجْهِكَ».

إن وحدة الأمة اليوم هي الأمل، بعد أن رأينا كيف يُسقط الحج الحدود بين البلدان، بل بين القارات؛ تلك الحدود التي صنعتها الأطماع البشرية، والعنصرية والأنانية؛ فالحج لا يُشرعننا بوحدة العالم الإسلامي فحسب، بل بوحدة الأرض، ووحدة البشر، ووحدة الإنسانية؛ ففي حجة الوداع كان الإعلان الحقيقي في نشر الحريات والمساواة والعدالة؛ أعلنتها النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن آبائكم واحد». لا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقى» (رواية البيهقي)، وكان الإعلان الصادق في استعادة المرأة كرامتها وحقوقها ومكانتها، وكان الإعلان العام في حقوق الإنسان وعزته: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» (رواية مسلم)؛ فمتي يُفique العالم الحائر إلى قارورة دواء الإنقاذ في الإسلام كظام لحياته، وحل مشكلاته؟!

يقول الشهيد سيد قطب عن هذا المعنى في الحج: "هو مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى، وتبادل المصالح والسلع والمعارف والتجارب وتتنظيم ذلك العالم الإسلامي الواحد الكامل المتكملاً مرةً في كل عام".

فهل تستثمر الأمة منافع الحج في وحدة شاملة يحشد كل قواها، وحفز كل استعدادها، وتجمّع كل طاقاتها، للبناء والنهضة والإنتاج؛ لتهيأ بذلك لحمل الأمانة والقيام بالرسالة؟ فالحج بجانب كونه عبادةً وتقريراً إلى الله سبحانه، فإن فيه منافع اجتماعيةً، وفوائد تقافيةً، واقتصاديةً، وسياسيةً، وتربيويةً، تساهم في بناء الأوطان، وتزيد وعي الأمة وتوجهها، وتساهم في حل مشكلاتها، وتنشط مسيرتها.

عہدِ مُعَمَّدٰ مَعَ اللّٰهِ وَشَّٰ

لقد لخّص الإمام الشهيد واجبات الأمة بعد الحج في كلمته أمام الوفود في موسم الحج قائلاً: «أيها الإخوان، إننا في هذا البلد الحرام، وأمام بيت الله الحرام، وزمزم، ومقام إبراهيم؛ نعاشر الله عهدهاً وثيقاً على أننا ستحمل عبء الجهاد والتضحية في سبيل اعتناق مبادئ الإسلام السامية، وتعاليمه الحكيمية، وسنحارب بعون الله جميع البدع والخرافات الدخيلة على ديننا السليم المبني على التوحيد الصحيح؛ تلكم الفكرة السليمة التي من ذاق طعمها ذاق حلاوة الإيمان، وكان عند الله من المقبولين...»، ثم ارتفع صوته قائلاً بعبارة مؤثرة بلغة: «اعلموا أن سعادة المسلمين لا تتحقق ولا تكون إلا بجعلهم القرآن الكريم دستوراً لهم وقانونهم.. احملوها عنى كلمة: إن الله لا ينصر القوم الفاسقين الذين هجروا دينهم وسلكوا طريق الشيطان الرجيم. ويوم أن نعود إلى حظيرة القرآن والسنة المطهرة يوم أن نرى نصر الله ماثلاً أمام أعيننا؛ لأنّه وعد من الله. ووعد الله صادق لا يخلف.. اقرعوا قول الله تعالى: «وكان حقاً علينا صر المؤمنين» (الروم: 47).»

وأذْكُر كُم أَهْلَهَا الإِخْرَاجَ وَأَتَتْهُ تَحْمِلُونَ هَذِهِ الدُّعَوَةَ، وَتَسْعَوْنَ فِي نُشُرِهَا، وَتَبَذِّلُونَ فِي سَبِيلِهَا الْوَقْتَ وَالْمَالَ وَالْجَهَدَ، خَاصَّةً فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ؛ بِمَا أَعْلَنَهُ الْإِمامُ الْبَناُ فِي الْبَقَاعِ الطَّاهِرِ مِنْ وَسَائِلٍ تَضَمِّنُ نِجَاحَ دُعَوَتِكُمْ؛ يَقُولُ الْإِمامُ الشَّهِيدُ حَسَنُ الْبَناُ فِي ذَلِكَ: «وَلَكُنَّ الَّذِي أَقْصَدَهُ أَنْ دُعَوةَ الإِخْرَاجَ لِلْمُسْلِمِينَ» - وَهِيَ دُعَوَةٌ خَاصَّةٌ لِوَلِيِّ الْأَئْمَاءِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ - مَؤْسِسَةٌ عَلَى تَقْوَاهُ، مَسْتَنِدةٌ إِلَى عَظِيمَتِهِ سَيِّدِ الْمُحْسِنِينَ.. هَذِهِ الدُّعَوَةُ أَعْتَدَهُ لَا بدَ لِنِجَاحِهَا مِنْ أَمْرِينِ أَسَاسِيَّينَ:



أولهماـ طهارة القائمين بها، ونراة نفوسهم حتى تصلح لتلقي المعونة والنصر من الحق تبارك وتعالى.

وثانيهماـ صلة هذه القلوب بالداعي الأول صلی الله عليه وسلم، صلةً روحيةً قويةً تؤدي إلى حسن الاتباع والاستمساك بالسنة، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. والله أكبير والله الحمد.